﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾ كما قال عز وجل ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي * لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول ، وفي رواية عنه : الحق مني وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به (قلت) وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وكقوله عز وجل ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ .

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى قل يامحمد لهؤلاء المشركين ما اسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم ، الله أعلم ؛ فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ أخرجاه من حديث الأعمش ، به وقوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين به من الإنس والجن ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿للعالمين﴾ قال : الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ وكقوله عز وجل ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقوله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي خبره وصدقه ﴿بعد حين﴾ أي عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة ؛ ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة ، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

## سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿وإنه لكتاب عزيز * لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وقال جل وعلا هاهنا ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز﴾ أي المنيع الجناب ﴿الحكيم﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي فاعبد الله وحده لاشريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له .

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به . قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد : إلا ليقربونا من الله زلفى أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردّها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وإن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله عز وجل ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ أي يوم القيامة ﴿فيما هم فيه يختلفون﴾ أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ وقوله عز وجل ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ أي لا يرشد إلى اهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير وعيسى فقال تبارك وتعالى : ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ أي لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم .

وقوله تعالى : ﴿سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ أي تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي كل شيء عبد لديه فقير إليه وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى انه الخالق لما في السموات والأرض ومابين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ أي سخرهما يجريان متعاقبين لايفتران كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً

كقوله تبارك وتعالى : ﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾ هذا معنى ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم . وقوله عز وجل ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ أي إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ أي مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب أو ناب إليه .

وقوله جلت عظمته ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ أي خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ وهو حواء عليها السلام كقوله تعالى : ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ وقوله تعالى : ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أي خلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ، ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عز وجل ﴿يخلقكم في بطون امهاتكم﴾ أي قدركم في بطون أمهاتكم ﴿ خلقاً من بعد خلق﴾ يكون أحدكم أولاً نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحماً وعظماً وعصباً وعروقاً وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿في ظلمات ثلاث﴾ يعني في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد . وقوله جل جلاله ﴿ذلكم الله ربكم﴾ أي هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ﴿لاإله إلا هو﴾ أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ﴿فأنى تصرفون﴾ أي فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟ .

إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾ وفي صحيح مسلم «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكي شيئاً» . وقوله تعالى : ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ أي لا يحبه ولا يأمر به ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ أي يحبه لكم ويزدكم من فضله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً بل كل مطالب بأمر نفسه ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور﴾ أي فلا تخفى عليه خافية .

وقوله عز وجل ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه﴾ أي عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لاشريك له كما قال تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾ ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرّه مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله﴾ أي في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾ أي قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلاً وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى : ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ وقوله تعالى : ﴿نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ .

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

يقول عز وجل أمَّنْ هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ، لا يستوون عند الله كما قال تعالى : ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ وقال تبارك وتعالى ههنا ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً﴾ أي في حال سجوده وفي حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون . قال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله ﷺ وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد آناء الليل جوف الليل . وقال الثوري عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره . وقوله تعالى : ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ أي في حال عبادته خائف راج ولابد في العبادة من هذا وهذا وان يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى : ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الإمام عبد بن حميد في مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له «كيف تجدك ؟» فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله ﷺ «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمنه الذي يخافه» . رواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي غريب ، وقد رواه بعضهم عن ثابت بن أنس عن النبي مرسلاً .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبة عن عبيدة النميري حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخراز حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه وإنما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه ، وقال الشاعر :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال الإمام أحمد كتب إليّ الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير بن مرة عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة» وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به . وقوله تعالى : ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل ، والله أعلم .

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم ، وقوله ﴿وأرض الله واسعة﴾ قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان ، وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى : ﴿وأرض الله واسعة﴾ قال إذا دعيتم إلى معصية فاهربوا ثم قرأ ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقوله تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ قال الأوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفاً ، وقال ابن جريج بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزادون على ذلك ، وقال السدي ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ يعني في الجنة . وقوله ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ قال السدي يعني من أمته ﷺ .

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ

قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى قل يامحمد وأنت رسول الله ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة وهذا شرط معناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ وهذا أيضاً تهديد وتبر منهم ﴿قل إن الخاسرين﴾ أي إنما الخاسرون كل الخسران ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ أي هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار فقال ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ كما قال عز وجل ﴿لهم من جهنم مهاد * ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾ .

وقال تعالى : ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ وقوله جل جلاله ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم . وقوله تعالى : ﴿يا عباد فاتقون﴾ أي اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة ﴿فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ ﴿وأولئك الذين هداهم الله﴾ أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ﴿وأولئك أولو الألباب﴾ أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي لايهديه أحد من بعد الله لأنه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له . ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ﴿من فوقها غرف مبنية﴾ طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها» فقال أعرابي لمن هي يارسول الله ؟ قال ﷺ «لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام» ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام» تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه به . وقال الإمام

أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء» قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول «كما تراءون الكوكب الذي في الأفق الشرقي أو الغربي» أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجاه أيضاً في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ . وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل أهل الدرجات ـ فقالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ : «بلى والذي نفسي بيده أقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل» ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قلنا يارسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال ﷺ «لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم» قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ومابناؤها ؟ قال ﷺ «لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة لمظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين» وروى الترمذي وابن ماجة بعضه من حديث سعد بن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدله وكان ثقة به . وقوله تعالى : ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا ﴿وعد الله﴾ أي هذا الذي ذكرناه وعد الله عباده المؤمنين ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ فإذا أنزل الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض﴾ قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى : ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ فمن سره أن يعود الملح عذباً فليصعده ، وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي أن كل ماء في الأرض فأصله من السماء . وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها . وقوله تعالى : ﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه ﴿ثم يهيج﴾ أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفراً قد خالطه اليبس ﴿ثم يجعله حطاماً﴾ أي ثم يعود يابساً يتحطم ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء والشاب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زرعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً كما قال تعالى : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ وقوله تبارك وتعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ .

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم . قال الله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾ قال مجاهد يعني القرآن كله متشابه مثاني ، وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك : مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله تعالى : ﴿متشابهاً مثاني﴾ إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار ومأأشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى : ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾ وكقوله عز وجل ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ـ إلى أن قال ـ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ـ إلى أن قال ـ هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾ ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى : ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ ذاك معنى آخر . وقوله تعالى : ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، المهيمن العزيز الغفار ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه [أحدها] أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات [الثاني] أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ وقال تعالى : ﴿والذين إذ ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾ أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم .

[الثالث] أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله . لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة . قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ قال هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان .

وقال السدي ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ اي إلى وعد الله ، وقوله ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده﴾ أي هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ .

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى : ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ ويفزع فيقال له ولأمثاله من الظالمين ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ كمن يأتي آمناً يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط

مستقيم ؟﴾ وقال جل وعلا ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر . كقول الشاعر :

فما أدري إذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يليني

يعني الخير أو الشر . وقوله جلت عظمته ﴿كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يعني القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق ، وقوله جل وعلا ﴿فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا﴾ أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ والذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي بينا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿لعلهم يتذكرون﴾ فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان كما قال تبارك وتعالى : ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ أي تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ وقوله جل وعلا ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك ﴿لعلهم يتقون﴾ أي يحذرون مافيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ﴿ورجلاً سلماً﴾ أي سالماً ﴿لرجل﴾ أي خالصاً لا يملكه أحد غيره ﴿هل يستويان مثلاً ؟﴾ أي لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ؟ فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهراً بيناً جلياً قال ﴿الحمد لله﴾ أي على إقامة الحجة عليهم ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي فلهذا يشركون بالله . وقوله تبارك وتعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون من هذه الدار لامحالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين . ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين . ثم أن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل المتنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي حاطب ـ يعني يحيى بن عبد الرحمن ـ عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال لما نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير رضي الله عنه : يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة ؟ قال ﷺ «نعم» قال رضي الله عنه : إن الأمر إذاً لشديد . وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ، ولما نزلت ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ قال الزبير رضي الله عنه : أي رسول الله أي نعيم نسأل عنه وإنما نعيمنا الأسودان : التمر والماء ؛ قال ﷺ «أما ان ذلك سيكون» وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجة من حديث سفيان به وقال الترمذي حسن وقال أحمد ايضاً حدثنا ابن نمير حدثنا محمد ـ يعني ابن عمرو ـ عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ ﴿إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير رضي الله عنه : أي رسول الله أيكرر علينا ماكان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال ﷺ «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق

حقه» قال الزبير رضي الله عنه : والله إن الأمر لشديد ، رواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن ابن عياش عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أول الخصمين يوم القيامة جاران» تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده انه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا» تفرد به احمد رحمه الله . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال «أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر ؟» قلت لا قال ﷺ «لكن الله يدري وسيحكم بينهما» وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد حدثنا حيان بن أغلب حدثنا أبي حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحون عليه فيقال له سد ركنا من أركان جهنم» ثم قال الأغلب بن تميم ليس بالحافظ . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ يقول يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر ، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله ملكاً يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستاناً فقال المقعد للضرير إني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل إليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدي ؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فإنكما قد حكمتما على أنفسكما ، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهي راكبه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة حدثنا ضرار حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا منصور بن سلمة حدثنا القمي ـ يعني يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال قلنا من نخاصم ؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم ؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما : هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل نختصم فيه ، ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة به ، وقال ابو العالية في قوله تبارك وتعالى : ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال يعني أهل القبلة ؛ وقال ابن زيد : يعني أهل الاسلام وأهل الكفر ، وقد قدمنا أن الصحيح العموم والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

يقول عز وجل مخاطباً للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه﴾ أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعداً لهم ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟﴾ وهم الجاحدون المكذبون . ثم قال جل وعلا ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ وقال السدي : هو جبريل عليه السلام ﴿وصدق به﴾ يعني محمداً ﷺ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿والذي جاء بالصدق﴾ قال من جاء بلا إله إلا الله ﴿وصدق به﴾ يعني رسول الله ﷺ وقرأ الربيع بن أنس ﴿والذين جاءوا بالصدق﴾ يعني الانبياء ﴿وصدقوا به﴾ يعني الاتباع . وقال ليث بن ابي سليم عن مجاهد ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا . وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ﴿والذي جاء بالصدق﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿وصدق به﴾ قال المسلمون ﴿اولئك هم المتقون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتقوا

الشرك ﴿لهم مايشاؤون عند ربهم﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ﴿ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ كما قال عز وجل في الآية الأخرى ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ .

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ وقرأ بعضهم ﴿عباده﴾ يعني انه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه وقال ابن ابي حاتم ههنا حدثنا ابو عبيد الله ابن اخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا ابو هانيء عن ابي علي عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول «أفلح من هدي إلى الاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» ورواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن ابي هانيء الخولاني به وقال الترمذي صحيح ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني المشركين يخوفون الرسول ﷺ ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلاً منهم وضلالاً ولهذا قال عز وجل ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟﴾ اي منيع الجناب لايضام من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه فانه العزيز الذي لااعز منه ولا أشد انتقاماً منه ممن كفر به واشرك وعاند رسوله ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون مع غيره مما لايملك لهم ضراً ولانفعاً ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟﴾ اي لاتستطيع شيئاً من الامر ، وذكر ابن ابي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الاقلام واعمل لله بالشكر في اليقين . واعلم ان في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً . وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا» ﴿قل حسبي الله﴾ اي الله كافيّ ﴿عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ . وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عصام الأنصاري حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا محمد بن حاتم عن ابي المقدام مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل اوثق منه بما في يديه ، ومن احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله عز وجل ، وقوله تعالى : ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد ﴿إني عامل﴾ اي على طريقتي ومنهجي ﴿فسوف تعلمون﴾ اي ستعلمون غب ذلك ووباله ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أي في الدنيا ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ اي دائم مستمر لامحيد له عنه وذلك يوم القيامة ، اعاذنا الله منها .

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ

وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿للناس بالحق﴾ اي لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ أي فانما يعود نفع ذلك إلى نفسه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾اي انما يرجع وبال ذلك على نفسه ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ اي بموكل ان يهتدوا ﴿إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ ﴿إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾. ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بمايشاء وأنه يتوفى الانفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهوالقاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى﴾ فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره. وفي صحيحي البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر عن سعيد بن ابي سعيد عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اذا آوى احدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». وقال بعض السلف تقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الأحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى ان تتعارف ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ التي قد ماتت ويرسل الأخرى الى اجل مسمى. قال السدي الى بقية اجلها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الاحياء ولا يغلط ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾

قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذاماً للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء انفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك وهي لا تملك شيئاً من الامر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هي جمادات اسوأ من الحيوان بكثير، ثم قال قل اي يا محمد لهؤلاء الزاعمين ان ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى اخبرهم ان الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه واذن له فمرجعها كلها اليه ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه﴾ ﴿له ملك السموات والأرض﴾ اي هو المتصرف في جميع ذلك ﴿ثم اليه ترجعون﴾ اي يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله، ثم قال تعالى ذاماً للمشركين ايضاً ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ اي اذا قيل لا إله إلا الله وحده ﴿اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ قال مجاهد اشمأزت انقبضت وقال السدي نفرت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن اسلم استكبرت كما قال تعالى: ﴿إنهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ اي عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿واذا ذكر الذين من دونه﴾ اي من الأصنام والأنداد قال مجاهد ﴿اذا هم يستبشرون﴾ أي يفرحون ويسرون.

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد ﴿قل ا للهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة﴾ أي ادع انت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض وفطرها اي جعلها على غير مثال سبق ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي السر والعلانية ﴿انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم . قال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا يحيى ابن ابي كثير حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته اذا قام من الليل؟ قالت رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا سهيل عن ابي صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ان رسول الله ﷺ قال «من قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك في هذه الدنيا اني أشهد أن لا إله إلا الله انت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك فانك ان تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، واني لا اثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد، الا قال عز وجل لملائكته يوم القيامة ان عبدي قد عهد اليّ عهداً فأوفوه اياه فيدخله الله الجنة» قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن ان عوناً اخبر بكذا وكذا فقال مافينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها انفرد به الإمام أحمد . وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال اخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاساً وقال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا نقول: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت رب كل شيء . وإله كل شيء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون، أعوذ بك من الشطيان وشركه، واعوذ بك ان اقترف على نفسي إثماً او أجره إلى مسلم. قال ابو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان يقول ذلك حين يريد ان ينام ، تفرد به احمد أيضاً .

وقال الإمام احمد ايضاً حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الالهاني عن ابي راشد الجبراني قال: اتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله فنظرت فيها فاذا فيها ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني ما اقول اذا اصبحت واذا أمسيت فقال له رسول الله ﷺ «يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أن اقترف على نفسي سوءاً او اجره إلى مسلم» ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه. وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال : قال ابو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول اذا اصبحت واذا أمسيت واذا اخذت مضجعي من الليل : اللهم فاطر السموات والارض الخ . وقوله عز وجل ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿ما في الارض جميعاً ومثله معه﴾ أي ولو أن جميع مافي الارض وضعفه معه ﴿لافتدوا به من سوء العذاب﴾ أي الذي اوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الارض ذهباً كما قال في الآية الأخرى ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الإنسان انه في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل وينيب اليه ويدعوه واذا خوله نعمة منه بغى وطغى وقال ﴿انما أوتيته على علم﴾ أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا، قال قتادة على علم عندي على خير عندي قال الله عز وجل ﴿بل هي فتنة﴾ أي ليس الامر كما زعم بل انما انعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما انعمنا عليه أيطيع أم يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة اي اختبار ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ اي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء﴾ أي من المخاطبين ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ أي كما أصاب أولئك ﴿ما هم بمعجزين﴾ كما قال تبارك وتعالى مخبراً عن قارون أنه قال له قومه ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ وقال تعالى: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي لعبراً وحججاً.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة واخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن ناب منها ورجع عنها وان كانت مهما كانت وان كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه. قال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى أن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به. والمراد من الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً﴾ الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابو قبيل قال: سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول: سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال «ألا ومن أشرك» ثلاث مرات تفرد به الامام احمد. وقال الامام احمد أيضاً حدثنا شريح بن النعمان حدثنا نوح بن قيس عن اشعث بن جابر الحداني عن مكحول عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصاله فقال: يا رسول الله ان لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي؟ فقال ﷺ ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال بلى وأشهد انك رسول الله فقال ﷺ «قد غفر لك غدراتك وفجراتك» تفرد به احمد.

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿إنه عمل غير صالح﴾ وسمعته ﷺ يقول ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا

على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ ولا يبالي ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به. فهذه الأحاديث كلها دالة على ان المراد انه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه وكثرت فان باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ وقال عز وجل ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ وقال جل وعلا في حق المنافقين ﴿ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * الا الذين تابوا وأصلحوا﴾ وقال جل جلاله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ ثم قال جلت عظمته ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا﴾ قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا اولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جداً. وفي الصحيحين عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم ندم وسأل عابداً من عباد بني اسرائيل هل له من توبة ، فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالماً من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في اثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل ان يقيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان اقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الارض التي هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة، وذكر انه نأى بصدره عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة ان تقترب وامر تلك البلدة ان تتباعد، هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ إلى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم ان المسيح هو ابن الله ومن زعم ان عزيراً ابن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء ﴿أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ ثم دعا إلى التوبة من هو اعظم قولاً من هؤلاء ،من قال انا ربكم لأعلى وقال ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل، ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيد بن شكل انه قال سمعت ابن مسعود يقول ان اعظم آية في كتاب الله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وان أجمع آية في القرآن بخير وشر ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وان أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الزمر ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وان اشد آية في كتاب الله تفويضاً ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ فقال له مسروق صدقت. وقال الاعمش عن ابي سعيد عن ابي الكنود قال مر عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله؟ ثم قرأ ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ رواه ابن ابي حاتم رحمه الله.

[ذكر احاديث فيها نفي القنوط]

قال الامام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان حدثنا ابو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن الدوسي قال: دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «والذي نفسي بيده لو اخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم، والذي نفس محمد - ﷺ - بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم» تفرد به احمد. وقال الامام احمد: حدثنا اسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن ابي صرمة عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول «لولا انكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوماً يذنبون فيغفر لهم» هكذا رواه الامام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث بن سعد به، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن ابي صرمة وهو الانصاري صحابي عن ابي ايوب رضي الله تعالى عنهما به. وقال الامام احمد حدثنا احمد بن عبد الملك الحراني حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت ابي يحدث عن ابي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «كفارة الذنب الندامة» وقال رسول الله ﷺ «لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم» تفرد به احمد . وقال عبد الله بن الامام احمد حدثني عبد الأعلى بن حماد القرشي حدثنا داود بن عبد الرحمن حدثنا ابو عبد الله بن مسلمة بن عبد الله الرازي عن ابي عمرو البجلي عن عبد الملك ابن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد ابن الحنفية عن أبيه علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ان

الله تعالى يحب العبد المفتن التواب» ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: ان ابليس لعنه الله تعالى قال يا رب انك أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا استطيعه الا بسلطانك قال فأنت مسلط، قال يا رب زدني، قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله، قال يا رب زدني قال اجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، فقال آدم عليه الصلاة والسلام يا رب قد سلطته علي وإني لا امتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، قال يارب زدني قال الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يا رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يا رب زدني قال ﴿يا عبادي الذي اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم﴾ وقال محمد بن اسحاق قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء اصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم* وأنيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون* واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون﴾ قال عمر رضي الله عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام ابن العاص رضي الله عنه قال: فقال هشام لما أتتني جعلت اقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوت ولا افهمها حتى قلت اللهم افهمنيها فألقى الله عز وجل في قلبي أنها انما انزلت فينا وفيما كنا نقول في انفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة. ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال ﴿وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له﴾ الخ، أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له ﴿من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ اي بادروا بالتوبةوالعمل الصالح قبل حلول النقمة ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم﴾ وهو القرآن العظيم ﴿من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون﴾ أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزيء غير موقن مصدق ﴿أو تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين* او تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين﴾ أي تود لو اعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل. قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل ان يقولوه وعملهم قبل ان يعملوه. وقال تعالى: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين* أو تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين* أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين﴾ فأخبر الله عز وجل ان لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ وقد قال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا ابو بكر عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كل اهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو ان الله هداني فتكون عليه حسرة، قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هداني قال فيكون له الشكر» ورواه النسائي من حديث ابي بكر بن عياش به. ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ اي قد جاءتك ايها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا ﴿ويوم ترى الذين كذبوا على الله﴾ أي في دعواهم له شريكا وولداً ﴿وجوههم مسودة﴾ اي بكذبهم وافترائهم وقوله تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين؟﴾ اي أليست جهنم كافية لهم سجنا وموئلا لهم فيها

الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وابائهم عن الانقياد للحق. قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو عبيد الله ابن اخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عيسى بن ابي عيسى الخياط عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال«إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة اشباه الذر في صور الناس يعلوهم كل شي من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس من نار الأنيار ويسقون من عصارة اهل النار ومن طينة الخبال». وقوله تبارك وتعالى: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله ﴿لا يمسهم السوء﴾ اي يوم القيامة ﴿ولا هم يحزنون﴾ اي ولا يحزنهم الفزع الاكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير.

اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

يخبر تعالى أنه خالق الاشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته، وقوله عز وجل ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينه، وقال السدي ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ اي خزائن السموات والارض، والمعنى على كلا القولين ان ازمة الامور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ اي حججه وبراهينه ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ وقد روى ابن ابي حاتم ههنا حديثا غريبا جداً وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فإنه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر حدثنا يحيى بن حماد حدثنا الاغلب بن تميم عن مخلد بن هذيل العبدي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ فقال «ما سألني عنها أحد قبلك يا عثمان» قال ﷺ «تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، استغفر الله ولا قوة الا بالله، الاول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شي قدير. من قالها يا عثمان اذا اصبح عشر مرار أعطى خصالاً ستاً: أما اولاهن فيحرس من ابليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قنطاراً من الاجر، واما الثالثة فترفع له درجة في الجنة، وأما الرابعة فيتزوج من الحور العين، واما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكاً، واما السادسة فيعطى من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزبور، وله مع هذا يا عثمان من الأجر، كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء» ورواه ابو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله اعلم. وقوله تبارك وتعالى: ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون؟﴾ ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن ابي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون؟ * ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾. وقوله عز وجل ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ أي أخلص العبادة لله وحده لا شريك له انت ومن اتبعك وصدقك.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تبارك وتعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ اي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته، قال مجاهد نزلت في قريش، وقال السدي ما عظموه حق تعظيمه، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوا، وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم. فمن آمن ان الله على كل شيء قدير

فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي امثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف. قال البخاري قوله تعالى: ﴿**وما قدروا الله حق قدرة**﴾ حدثنا آدم حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الاحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء والثرى على اصبع، وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة**﴾ الآية ورواه البخاري ايضاً في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام احمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه. وقال الإمام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ من اهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجرة على اصبع والماء والثرى على اصبع، قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ إلى آخر الآية، وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش به. وقال الإمام احمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر حدثنا ابو كدينة عن عطاء عن ابي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه - كل ذلك يشير بأصابعه - قال فأنزل الله عز وجل ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ الآية وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن ابي جعفر عن ابي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن ابي الضحى مسلم بن صبيح به وقال الحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذ الوجه. ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن أن ابا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض» تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر. وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم ابن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الارضين على اصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول انا الملك» تفرد به ايضاً من هذا السياق واطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر «يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم» فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث عبد العزيز بن ابي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن ابي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه. ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته «وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض اصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ. وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف حدثنا أبو علي الحنفي حدثنا عباد المنقري حدثني محمد بن المنكدر قال حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ﴿**وما قدروا الله حق قدره - حتى بلغ - سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله اعلم، ورواه الإمام الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح. وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي حدثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية حدثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن ابي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنفر من اصحابه رضي الله عنهم «اني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة» فقرأها ﷺ من عند ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ إلى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال ﷺ «إني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك» هذا حديث غريب جداً، وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي لو

رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا: لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن ويعلم كيف افعل بخلقي إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم» وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾ هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول ﴿**لله الواحد القهار**﴾ أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكمت بالفناء على كل شيء، ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ بالصور مرة أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل ﴿**ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون**﴾ أي أحياء بعدما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**فإنما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة**﴾. وقال عز وجل ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم إلا قليلا**﴾ وقال جل وعلا ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون**﴾ قال الإمام احمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إنك تقول الساعة تقوم إلى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا إنما قلت سترون بعد قليل أمراً عظيماً ثم قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم اربعين لا ادري أربعين يوماً أو اربعين شهراً أو أربعين عاماً أو اربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعاً ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عيه» قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم «ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل هم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة ارزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطراً كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون**﴾ قال ثم يقال أخرجوا بعث النار قال فيقال كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ويومئذ يكشف عن ساق» انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه.

### [حديث أبي هريرة رضي الله عنه]

وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي ﷺ وقال «مابين النفختين أربعون» قالوا أبا هريرة اربعون يوماً؟ قال رضي الله تعالى عنه أبيت، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت، قالوا أربعون شهراً؟ قال أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق.

وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية ﴿**ونفخ في الصور**

فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة الى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا الى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك اليهم إلهي وإذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه» رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش فانه غير معروف والله سبحانه وتعالى اعلم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ أي أضاءت يوم القيامة اذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء ﴿ووضع الكتاب﴾ قال قتادة كتاب الأعمال ﴿وجيء بالنبيين﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم ﴿والشهداء﴾ أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي بالعدل ﴿وهم لايظلمون﴾ قال الله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ وقال جل وعلا ﴿إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ ولهذا قال عز وجل ﴿ووفيت كل نفس ماعملت﴾ أي من خير أو شر ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ .

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون الى النار وإنما يساقون سوقاً عنيفاً . بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ أي يدفعون اليها دفعاً ، وهذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الاخرى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها﴾ أي بمجرد وصولهم اليها فتحت لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ﴿ألم يأتكم رسل منكم ؟﴾ أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم﴾ أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم ، فيقول الكفار لهم ﴿بلى﴾ أي قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل مخبراً عنهم في الآية الأخرى ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل . ماكنا في أصحاب السعير﴾ أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾ أي بعداً لهم وخساراً .

وقوله تبارك وتعالى ههنا ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ماهم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أي ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولازوال لكم عنها ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أي فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم الى ماأنتم فيه فبئس الحال وبئس المآل .

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ

نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً الى الجنة زمراً أي جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضاً ﴿**حتى إذا جاءوها**﴾ أي وصلوا الى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا **حتى** اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ وعليهم أجمعين كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم الى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أنا أول شفيع في الجنة» وفي لفظ لمسلم «وأنا أول من يقرع باب الجنة» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لاأفتح لأحد قبلك» ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لايبصقون فيها ولايمتخطون فيها ولايتغوطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشياً» ورواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة لايبولون ولايتغوطون ولايتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وأخرجاه أيضاً من حديث جرير وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال «اللهم اجعله منهم» ثم قام رجل من الأنصار فقال يارسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ «سبقك بها عكاشة» أخرجاه وقد روى هذا الحديث - في السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب - البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهني وأم قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألفاً آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلةالبدر» . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً لاحساب عليهم ولاعذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل» وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبراني عن عيينة بن عبد السلمي «ثم مع كل ألف سبعين ألفاً» ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنماري وله شواهد من وجوه كثيرة . وقوله تعالى : ﴿**حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ لم يذكر الجواب ههنا ، وتقديره حتى اذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراماً وتعظيماً وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب فتقديره اذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل مايكون لهم فيه نعيم ، وإذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل ، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى : ﴿**وفتحت أبوابها**﴾ واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في

النزع ، وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان» فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله ماعلى أحد من ضرورة دعى من أيها دعى فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال ﷺ «نعم وأرجو أن تكون منهم» رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لايدخله إلا الصائمون» وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»وقال الحسن بن عرفة حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «مفتاح الجنة لا إله إلا الله» .

**ذكر سعة أبواب الجنة - نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها**

في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل«فيقول الله تعالى يامحمد أدخل من لاحساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر والذي نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة مابين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر - أوهجر ومكة - وفي رواية - مكة وبصرى » وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مثله ، وقال عبد بن حميد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إن مابين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة» . وقوله تبارك وتعالى: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾ أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادي بين المسلمين في بعض الغزوات «ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - وفي رواية - مؤمنة» وقوله ﴿فادخلوها خالدين﴾ أي ماكثين فيها أبداً لايبغون عنها حولاً ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد﴾ ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب﴾ وقولهم ﴿وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ . قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ ولهذا قالوا ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أي أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ «أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك » .

وقال عبد الرحمن بن حميد حدثنا روح بن عبادة حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال در مكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله ﷺ «صدق» وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال «درمكة بيضاء مسك خالص » . فقال رسول الله ﷺ «صدق» وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال «درمكة بيضاء مسك خالص» . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ قال سيقوا حتى انتهوا الى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا الى إحداهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم

تغير أبشارهم بعدها أبداً ولم تشعث اشعارهم أبداً بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الأخرى كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ماكان في بطونهم من أذى أوقذى وتلقتهم الملائكة على ابواب الجنة ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشرقد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا وقداعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ، قال وينطلق غلام من غلمانه الى ازواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن انت رأيته فيقول نعم فيستخففهن الفرح حتى تخرج الى أسكفة الباب قال فيجيء فاذا هو بنهارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابي مبثوثة ، قال ثم ينظرالى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب ببصره أنه لمثل البرق ثم ينظر الى أزواجه من الحور العين ثم يتكىء على أريكة من أرائكه ثم يقول ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ .

ثم قال: حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصري يقول أن علياً رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أويؤتون - بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل مافي بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين ياعلي فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خرّ له - قال مسلمة أراه قال ساجداً - فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لاأموت وأنا الناعمة التي لاأبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وانا المقيمة التي لاأظعن فيدخل بيتاً من اسه الى سقفه مائة الف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها في البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضي جماعها في مقد ر ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تطرد «أنهار من ماء غير آسن» - قال صاف لا كدر فيه - «وأنهار من لبن لم يتغير طعمه» - قال لم يخرج من ضروع الماشية - «وأنهار من خمر لذة للشاربين» - قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم - «وأنهار من عسل مصفى» - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستجني الثمار فإن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئاً - ثم تلا ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾ - فيشتهي الطعام فيأتيه طيراً أبيض قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في الأرض لأضاءت الشمس معها سواداً في نور» هذا حديث غريب وكأنه مرسل ، والله أعلم .

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه نزّل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لايجور ، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضي الأمر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل ﴿وقضي بينهم﴾ أي بين الخلائق ﴿بالحق﴾ . ثم قال ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول الى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى : ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ .